الخطر القادم من الصين

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لا يزال هناك مَن يفكر في أن الشيوعية هي الحل وأن مستقبل البشرية سيكون شيوعيا. ولقد وجد البعض في الأسلوب الذي اتبعته الصين في حربها ضد فايروس كورونا خير دليل على أن الدولة الشمولية على الطريقة الصينية أكثر كفاءة من الدول التي تعتمد النظام الحر في مجال حماية شعبها.

لقد فرضت الصين قيودا مشددة حدت عن طريقها من حرية الحركة في ووهان وهي المدينة التي انطلق من أحد أسواقها فايروس كورونا. ذلك الإجراء ساعدها على أن تحد من انتشار الوباء وهو ما يسر لها الإعلان المبكر عن عودة الحياة إلى ووهان. كان ذلك نوعا من الدعاية الشيوعية التي لا تستقيم مع الواقع.

ذلك ما يمكن التعرّف عليه من خلال الفرق الطبية الصينية التي صارت تتجول بين المناطق المنكوبة في دول ينتمي بعضها إلى العالم الأول كما هو الحال مع إيطاليا التي فتك بها الفايروس بسبب سوء الإدارة السياسية لمسألة كان حريا بالسياسيين أن يتركوا قرار الحسم فيها للأطباء والعلماء.

في الوقت نفسه كانت هناك فرق طبية كوبية تجوب العالم في استعراض لا يقل دعائية عن الاستعراض الصيني. في مواجهة ذلك المشهد ردد البعض مقولة للرئيس الكوبي السابق فيدل كاسترو ملخصها أن كوبا تصدر الأطباء إلى العالم فيما الولايات المتحدة تصدر الأسلحة.

الصين الشيوعية هي اليوم الشريك الأول للولايات المتحدة في إدارة الاقتصاد العالمي. ذلك يعني أن لها مصلحة في عمل الشركات الكبرى التي تعرضت بسبب كورونا إلى ضربات قاصمة أودت بعدد منها إلى إعلان إفلاسها

وكما هو واضح فإن النظامين الشيوعيين في الصين وكوبا لم يتحرّكا إلا بدوافع سياسية كان البعد الإنساني مجرد واجهة لها. وهو ما يذكّر بالأسلوب الدعائي الذي اعتمده الاتحاد السوفييتي السابق في تأكيد حرصه على السلام والأمن العالميين في الوقت الذي كان يزج فيه بدعاة الحرية من مواطنيه في السجون باعتبارهم من وجهة نظره خونة للرأسمالية.

وإذا ركزنا على الصين فإنها حاولت من خلال فرقها الطبية أن تغطي على مسؤوليتها عن ظهور الفايروس وانتشاره، بسبب تأخرها في الإعلان عنه وإخفائها للكثير من الحقائق العلمية التي تتعلق به. تلك جريمة سعى الصينيون إلى أن يمحوا آثارها من خلال دعاية ساذجة.

هناك تفصيل لم ينتبه إليه الكثيرون، سواء مَن أدانوا الموقف الصيني المريب أو مَن أدهشتهم المعالجة الصينية للوباء وقيامها بتقديم مساعدات طبية لعدد من الدول الفقيرة من أجل التصدي لانتشار الفايروس.

يتعلق ذلك التفصيل بالدوافع العقائدية التي تتحرك الصين بموجبها في علاقتها مع العالم وهي دوافع نجح النظام الصيني في إخفائها حين قرر دمج الصين بالنظام الاقتصادي العالمي الحر، بحيث اعتقد الكثيرون أن الصين قد تخلت أو في طريقها إلى التخلي عن شيوعيتها.

لم يكن ذلك الرأي صحيحا على الإطلاق، بل إنه يعبر عن سذاجة عرف الصينيون كيف يستثمرون ذكاءهم فيها. وهو ما ساعدهم على التهام الجزء الأكبر من الاقتصاد العالمي، من غير أن يتزحزحوا سنتيمترا واحدا عن أساسهم النظري وطريقتهم العملية في تسيير الشؤون اليومية في دولتهم التي لا تزال تتعامل بالعنف القديم مع أي ظاهرة تعبر عن نوع من الاختلاف مع النظام الشيوعي الذي لا يزال ماويا (نسبة إلى الزعيم الصيني ماو تسي تونغ)، بل هو اليوم أكثر تشددا في ماويته من ماو نفسه.

ليس ذلك التفصيل حدثا جانبيا لكي يتم التغاضي عنه.

الصين الشيوعية هي اليوم الشريك الأول للولايات المتحدة في إدارة الاقتصاد العالمي. ذلك يعني أن لها مصلحة في عمل الشركات الكبرى التي تعرضت بسبب كورونا إلى ضربات قاصمة أودت بعدد منها إلى إعلان إفلاسها.

فهل حدث ذلك صدفة؟

العالم الحر بالنسبة للصين الشيوعية لا يزال هو العدو الأول. والصين في جوهر ذلك الموقف لا تختلف عن إيران، بالرغم من أن إيران لا تزال تتمسك بأساليب متخلفة تتمحور كلها حول النزاع المسلح الذي تجاوزته الصين منذ حوالي نصف قرن. ربما سيكون كورونا مناسبة لإعادة تصفح الملف الصيني.

متى ينتفض العراقيون؟

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

تتركز المشكلة العراقية في سؤال واحد مهم، هو هل أن الذين تمكّنوا من انتزاع تمثيل الطائفة الشيعية في دولة المحاصصة واحتكاره يمثلون المواطن الشيعي بجدارة وإخلاص؟ الانتفاضة التشرينية الكاشحة الكاسحة ترد على ذلك.

ثم، هل اختارت الطائفة السنية، بحرية وشفافية، أولئك السياسيين السنة الذين سطوا على حصتها في السلطة، وادعوا تمثيلها والسعي لإخراجها من أحزانها ومصائبها ومآتمها التي أغرقتها بها حكومات حزب الدعوة وإيران وحشدها الشعبي وجائحة داعش وجرائمُها التي لا تمحوها عشرات من السنوات القادمة؟

لا دليل على ذلك. واسألوا مئات ألوف العوائل المهجرة داخل محافظاتها، والأخرى التي كمم أفواه رجالها ونسائها السياسيون بحاميهم وراعيهم سلاح الحشد الشعبي (الإيراني)، وبآلمال الحرام الذي أتقنوا جمعه وتشغيله في شراء النفوس الضعيفة.

وفي ضوء الأجوبة الصحيحة الملموسة على كل هذه التساؤلات المريرة المزعجة يتعين علينا أن نجد جوابا لسؤال آخر مهم، هو، هل الملايين من السنة العراقيين أقلّ وعيا وشجاعة وروحا ثورية ووطنية وحبا في الاستقلال والحرية والنزاهة والعدالة من الملايين الشيعية الشريفة التي انتفضت على الأحزاب والتنظيمات التي حكمت وسرقت وخانت وظلمت باسمها وباسم مظلوميتها؟

أبدا وتاريخ ثوراتهم وانتفاضاتهم شاهد على ذلك، من أيام الاحتلال البريطاني وحتى أيام الغزو الأميركي، ثم زمن قاسم سليماني، فأيام نوري المالكي الذي فعل بهم ما لم يجرؤ أحد قبله على فعله، لا قريب ولا غريب.

والدليل أن بعضا من هؤلاء السياسيين السنة الذين يحكمون اليوم باسم الطائفة ويتاجرون بمصائبهم ويرتزقون بآلامها وأحزانها، يخاف أن يزور محافظته، ناهيك عن العيش فيها، خوفا من غضب أهلها المتلئين ثورة ونقمة. أما بعضهم الآخر فتحميه بنادق الحشد الشعبي الإيراني الحاكم الفعلي فيها، وتمنع أهلها من الثورة عليه في يوم من الأيام.

وأصغر أبناء المحافظات السنية الست وأكبرُهم يعلم بأنهم باعوا أهلهم وعترتهم، ورموا كراماتهم في سلال الإيرانيين والأميركيين والأتراك وربما الإسرائيليين.

فمن كان يستمع، بالأمس، إلى خطاباتهم وهم يهددون بغزو بغداد وتحريرها من المحتلين الإيرانيين ومن حكومات حزب الدعوة، ومن يتابع، اليوم، معاركهم الدامية فيما بينهم على وزارات (اللقمة) السمينة في حكومة مصطفى الكاظمي، لا يملك إلا أن يلعن هذا الزمن الرديء الذي جاء بهؤلاء الانتهازيين الذين استبدلوا مهنة التهريب بمهنة الموالاة لإيران، أو لأميركا، أو لتركيا، وزراء وسفراء ومدراء وقادة جيوش.

ألم يقامروا بأرواح شباب المحافظات الست في لعبة اعتصامات 2013، ويدفعوا بهم إلى موت مجاني في مناطحة غير عقلانية ة مع جيش نوري المالكي وحكومته وسلاحها، ثم في النهاية جلسوا معه في منزل هادي العامري وتحت خيمة الولي الفقيه؟

ألا ترى بعضَهم على شاشات التلفزيون وفيسبوك وتويتر يفاخر، علنا بالعمل من أجل خدمة مشروع (الإمام) الخميني، وبعضَهم الآخر الذي دوخنا بالثرثرة، أمس، عن مقاومة الغزو وقتال المحتلين الأميركيين يطالب اليوم ببقاء القواعد العسكرية الأميركية في العراق؟

تراهم من الخارج وطنيين أصحابَ مبادئ وكرم وخلق وشهامة لكنهم من الداخل صغار خاوون وخالون من أي انتماء لوطن أو رجولة أو آدمية، ومتهالكون على السلطة، حتى لو جاءتهم مع الذل والصغار والهوان.

لقد خدموا جميع الأنظمة المتعاقبة في العراق ثم كانوا أسرع الناس في نقل الولاء من حاكم لآخر، وتحويل البندقية من كتف إلى كتف.

ودون الحاجة لذكر أسمائهم فهم معروفون بأنهم احترفوا القبض من كل عاط وكل شار. فقد تعودوا على الاستعطاء من السفارات وأجهزة المخابرات العربية والأجنبية، بذريعة خدمة المهجرين والمشردين والأيتام والمتضررين من أبناء الطائفة، ثم يحوّلون تلك الصدقات والهبات إلى قصور وعمارات وسيارات فارهة وفضائيات وإذاعات وجرائد وسهرات في عمان ودبي ولندن وبيروت، وكأن ما يكسبونه من العمالة والخيانة، لا يكفيهم، فيسطون على أرزاق الفقراء من أبناء طائفتهم بالظلم والقهر والعدوان.

مهما طال الزمن فإن موعد ثورة السنة العراقيين على لصوصهم قريب، فقط حين تزول غمة كورونا، وتغادر محافظاتهم ومدنهم وقراهم جيوش الحرس الثوري العراقي الذي نشرته إيران لتكميم أفواه معارضيهم، ومنع الثائرين أبناء جلتهم من أن ينزلوا بهم حكم القصاص، ولكل أجَلٍ كتاب. وسوف نرى.

كورونا يثبت أن الجامعة العربية حبر على ورق

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

هل كان الحالمون العرب بحاجة ليؤكد لهم فايروس مثل كورونا أن الجامعة العربية حبر على ورق، هل هناك من انتظر أن تخالف إدارتها التوقعات وتتخذ قرارات معنوية كفيلة بالإيحاء أنها لا تزال موجودة، ويمكن تطوير الأداء إذا توافرت الظروف؟

لن أدخل في جدل أن دور أي منظمة إقليمية هو حاصل جمع الدول الأعضاء فيها، فلم نطلب أن تعلن الجماعة قرارا بالحرب أو السلام. فالمطلوب الارتفاع إلى مستوى الحدث، لأن الانخفاض الزائد عن الحد يتساوى مع الوفاة الإكلينيكية، إلى حين كتبة الشهادة رسميا.

جاءت فرصة ثمينة لهذه الجامعة لإظهار التضامن في مواجهة جائحة صحية، لا تحتاج لحسابات سياسية تحتمل الخلافات العربية العميقة، فلا توجد مواقف متباينة، فالكل في الهم كورونا. البحث عن توفير المعدات الطبية اللازمة. الاجتهاد في إيجاد لقاح للعلاج. وتداول الوسائل الممكنة لتقليل الخسائر. فلم تترك الأزمة بلدا إلا ونالت منه بدرجات متفاوتة.

هذه من المرات النادرة التي كان من المفترض أن يتوحد فيها العالم العربي في التصدي لخطر داهم. لا فرق فيه بين مشرق أو مغرب، أو بين محور مقاطعة وممانعة ورفض ومقاومة، وآخر يتجاوب مع السلام ويؤمن بالمرونة والاعتدال، إلى آخر المفردات التي درج العرب على تداولها منذ زمن، واستغرقوا في التوصيفات أكثر من استغراقهم في التصرفات.

عقدت الكثير من المنظمات الإقليمية والدولية اجتماعات "أونلاين"، ربما لم تتمخض عن شيء كبير في التعامل مع كورونا وروافده، أو تقدم معلومات كافية عن آلية التعاطي مع تداعياته المرعبة، لكنها عززت الحضور السياسي الرمزي للبعض. حتى هذه وقد أدمنتها الجامعة العربية تخلت عنها بإرادتها، وعجزت عن اللحاق بها، ما أفقدها آخر أسلحتها.

كان من الممكن البناء على هذا الوباء الجامع في الدعوة إلى اجتماع عبر الفيديو كونفرانس، على مستوى القمة أو حتى على المستوى الوزاري، ودراسة التهديدات التي تمثلها الجائحة، لتأكيد أن الكيان المعنوي الممتد لنحو ثمانية عقود لا زال موجودا، وقد تكون له فوائد في الأزمات الكبرى عندما يُحسن التصرف معها.

خيبت الجامعة الحد الأدنى من الظنون الإيجابية، وفوتت التقاط المضامين التي يحملها مجرد التفكير في اللقاء وسط هذه الأمواج، وما يشير إليه من دلالات بعيدة. فأي اجتماع في هذه الأجواء لن يتحمل التراشقات المعتادة، وغير مسموح فيه بالتجاذبات التي نعرفها جيدا، ولن تكون هناك فرصة للخارجين عن الأعراف والتقاليد ومن يحرصون على تخريب الدور الجماعي العربي وتغليب مصالحهم الشخصية.

استلزمت أزمة كورونا الصحية التكاتف والتعاون للتفكير في حلول عملية، حتى لو كان نصيب العرب في العلم ضئيلا أو منعدما، فقد حمل كوفيد – 19 في جوهره رسالة أو ملمحا مهما خاصا بالتنسيق بين الدول في الحصول على المعدات الطبية، وتسابق البعض في تقديم الهدايا والعطايا لدول مختلفة، في ظاهرها تنطوي على تضامن في مواجهة الجائحة، وفي جوهرها لا تخلو من ملامح سياسية.

فضلت دول كثيرة الحلول الفردية بعد فقدان الثقة في المنظمات الإقليمية لتقديم مساعدات متباينة. لم يكن مطلوبا هذا الدور من الجامعة العربية، لأنها تفتقر إلى هذا المحدد عمليا، كان بإمكانها أن تصبح مظلة لترتيب توصيل المعونات من دول الوفرة إلى الندرة، وتخفيض تأثير الخلافات السياسية على الأمور الصحية والإنسانية.

جاءت فرصة ثمينة لهذه الجامعة لإظهار التضامن في مواجهة جائحة صحية، لا تحتاج لحسابات سياسية تحتمل الخلافات العربية العميقة

قدمت بعض الدول العربية مساعدات للولايات المتحدة والصين وإيطاليا وغيرها من الدول الواقعة في مقدمة الصدارة العلمية والمادية، ولم تكن المساعدات المرسلة إلى دول عربية مثل السودان والصومال وموريتانيا وجيبوتي على المستوى نفسه. فهذه دول منها من تملك أجهزة تنفس صناعي يمكن عدها على أصابع اليدين. وهي واحدة من الحلقات والمفارقات التي أثبتت أن تعامل غالبية الدول مع كورونا كان سياسيا. وحوّل البعض المعدات الطبية إلى وسيلة دبلوماسية لخدمة أغراض خفية.

فقدت الجامعة العربية ورقة صحية تحمل علامات سياسية جذابة، كفيلة بتقليل حجم المشاحنات. لم تجرؤ قيادتها على طرح رؤية لتوصيل المساعدات العربية إلى مستحقيها العرب أيضا، بما يشي بأن كيانها لم تنضب منه الدماء وقد تدب فيه الحياة إذا استثمر الفرصة، لأن اللحظة الراهنة تفرض النظر إليها بروية وقليل من الجمود العقلي. لحظة يبدو فيها التسامح مقدما على العداء.

إذا لم تكن الجامعة العربية على مستوى المسؤولية المعنوية هنا، فمعنى ذلك أنها فقدت ما تبقى من روحها ودورها، وكتبت شهادة نعيها بنفسها.

حفرت الجامعة العربية قبرها منذ سنوات عندما أخفقت في مواجهة التحديات المتعاظمة على الأصعدة الاستراتيجية، وجرى الصبر عليها على أساس أن قدراتها قليلة، ورضي كثيرون بالشق الخاص باللقاءات والاجتماعات دون الحصول على نتائج عملية وإحراز تقدم يتناسب مع البيئة الحافلة بالصراعات، أملا في حدوث تحولات تجبرها على التجاوب مع الطموحات.

تراجعت فرص التغيير وتباطأت التطلعات وحافظت الجامعة على وجودها كمبنى أصم يعكس الجمود في التفكير، والعقم في الأداء الجماعي العربي. مع ذلك راودت الأحلام البعض في أن يأتي وقت ترتفع فيه إلى مستوى المهام التي يجب القيام بها. ولأن الأزمة الحالية جسيمة بما فيه الكفاية ولم ترتق إلى مستواها، فقد باتت كتابة شهادة نعيها رسميا قريبة.

احتفظت دول عربية بالنعي ولم تشأ إعلانه خوفا من توجيه اتهامات تتعلق بعدم الترحيب بالبعد العربي في التعاون. لم تجرؤ دول أخرى على الإفصاح عن عدم حاجتها لجامعة أضحت محلا للشجار بدلا من الوفاق. حاولت قلة إصلاحها من خلال تقديم مبادرات من حين لآخر. هناك من حافظوا عليها لتوظيفها في قضايا سياسية معينة عبر ضمان الحصول على الأغلبية عند التصويت، وهي قيمة محدودة وبدأت تفقد بريقها. جرف كورونا معه كل الفوائد القليلة التي يمكن أن تقوم بها الجامعة العربية، ولم يترك لها فرصة للمناورة والمساومة كالعادة، لأنها لم تحسن التعامل مع ما أفرزه الوباء من توازنات تتخطى الحدود الصحية، ما يجعلها تفقد الوعي العام وتوشك على التداعي والانهيار التام.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk